الدرس 5 : اتجاهات الرواية العربية / الرواية الوجودية .

"الوجودية من أحدث المذاهب الفلسفية وأكثرها سيادةً في الفكر المعاصر

والوجودية بمعناها العام: هي إبراز قيمة الوجود الفردي للإنسان وقد ظهرت الوجودية نتيجة لحالة القلق التي سيطرت على أوروبا

بعد الحرب العالمية الأولى، واتسعت مع الحرب العالمية الثانية وسبب هذا القلق هو الفَناء الشامل الذي حصل نتيجة الحرب"

منصور عيد (كلمات من الحضارة)

أولا/ الوجودية المبادئ والرواد :

ظهرت الفلسفة الوجودية في أوروبا عقب الحرب العالمية الأولى (1914 – 1918)، ابتداءً بألمانيا، ثم فرنسا، ثم انتشرت في بقية الأقطار الأوربية، وبعدها في العالم بوجه عام، ويمكن القول: إنها انتشرت في النصف الأول من القرن العشرين، وبدأ خفوتها في نهايات السبعينيات وبدايات الثمانينيات من القرن العشرين، تقوم الوجودية على البحث في مسألة الوجود الإنسانيّ وعلاقته بالوجود الخارجي (الكون والمجتمع) وموقفه من هذا الوجود، وتتلخص مبادئ الوجودية في النقاط التالية:

1- الانطلاق من الذات التي هي مركز المبادرة ومقر الوجدان والشعور.

2- الإنسان موجود متكامل بعقله ومشاعره، وجسده وروحه.

3- المعارف والخبرات نسبية دوماً، ولا توجد حدود حاسمة نهائية لها؛ بل تبقى فيها ثغرات، وليس هناك حقيقة مطلقة.

4- تشتبك الذات الفردية بالعالم الخارجي اشتباك تفاعل، وكل من هذين الطرفين شرط لوجود الطرف الآخر؛ وهذا هو الواقع.

5- للواقع المعيش، أي الراهن، أهميةٌ مركزية. اليوميّ هو المهم ولا عبرة للماضي لأنه غير موجود، أما المستقبل فيجب أن نوجده، وشعار الوجوديّ: (أنا الآن وهُنا)، والفرد متواصل مع العالم الخارجي من خلال وجوده وحواسّه ومشاعره وجسده.

6- الحريّة لديهم هي الوجود الإنسانيّ، ولا إنسانية من دونها، والحرية لدى الوجوديين تعمل ضمن المعايير الفرديّة لا ضمن المعايير الأخلاقية والسياسية والدينية السائدة.

7- يتخذ الفرد قراره وموقفه. وهذا الموقف ذو قيمة مستقبلية لأنه اتجاه في عملية تحديد المستقبل حين تتلاقى القناعات والمواقف في نقطة واحدة.

8- ترفض الوجودية كلّ الأشكال الجاهزة والموروثة والسائدة لأنها قيود تحد الحرية الفردية، ولذا فهي ترفض الدين. أما الماركسية فلم تنسجم معها انسجاماً كاملاً، وإن كانت تلتقي معها في جوانب الواقعية. لقد أخضعَتها كغيرها للنقد واحتفظت بحق الفرد في المخالفة والانتقاء وحرصت على ألاّ تذوب حريته في إطار الجماعة.

9- هنالك وجوديات عديدة، بعدد منظّريها، ولكنها تتفق جميعاً في التركيز على موضوعات أساسية مثل: الحرية، الموقف الإرادي، المسؤولية، الفرد، الإثم، الاغتراب، الضياع، التمزّق، اليأس، السأم، الاستلاب، الخيبة، الرفض، القلق، الموت...

يمثل الفكر الوجودي مجموعة من المفكرين الوجوديين في القرن العشرين، وهم:

- من فرنسا: (ألبير كامو، وجان بول سارتر، وجابرييل مارسيل).
- من ألمانيا: كارل ياسبرز، ومارتين هايدجر.
- من روسيا: المفكر الديني السياسي (نيقولاس بيرديف)، والفيلسوف اليهودي (مارتن بوبر) .

ثانيا/ الوجودية والأدب :

امتزجت الفلسفة الوجودية بالأدب، لاسيّما في الرواية والمسرحيّة، لأنها وجدت فيهما الوسيلة المثلى لتحليل واقع الإنسان والكشف عما يحدق به من التحديات، ومن ثم تحصينه بحريته الكاملة وإرادته لاتخاذ قراراته والنضال لإثبات وجوده واختيار مصيره.

ولقد كان معظم الفلاسفة الوجوديين أدباء عرضوا أفكارهم من خلال إبداعاتهم الأدبية عرضاً هو أشد تأثيراً مما تقدِّمه النظريات التي قد تتسم بالجفاف.

كما أن كثيراً من الأدباء ساروا وَفق النهج الوجودي في رسم رؤاهم وشخصياتهم، حتى تبلور في النصف الثاني من القرن العشرين ما يدعى بالأدب الوجودي، وكان من أبرز أدبائه (**جان بول سارتر**) الذي ترك عدداً كبيراً من القصص والروايات والمسرحيات مثل: (الأيدي القذرة، وموتى بلا قبور، والدوامة، والذباب)، ورِوَايَتَي (الحزن العميق، ودروب الحرية)، وعددٍ من القصص.

ومن الأدباء الوجوديين أيضاً (**ألبير كامو**) الذي كان يدعى فيلسوف العبث، ومن مسرحياته (سوء تفاهم، والعادلون، والحصار)، ومن رواياته (الطاعون، والموت السعيد)، ومن قصصه (المنفى).

ومنهم تلميذة سارتر (**سيمون دي بوفوار**) التي استطاعت أن تسهم في نشر الأفكار الوجودية في أعمالها الأدبية مثل رواية (المثقفون).

كما يُعَدُّ من أصحاب النزعة الوجودية أمثال (ت.س إيليوت، وصموئيل بيكيت، وجيمس جويس)؛ على احتفاظ كُلّ منهم بطابعه الخاص.

ثالثا/ الرواية العربية الوجودية :

الوجودية إدراك للذات ووعي لمعنى الحياة مابين الوجود والعدم والبحث الوجودي في مشكلات الإنسان من أجل إيجاد حلول لأزماته المعاصرة التي تخلى فيها عن إنسانيته بفعل التطور التكنولوجي الذي صيره عبدا لآلته، وجعله امتدادا لها فأصبح يعاني من القلق والأسى والتشاؤم والاغتراب والموت والدمار ، فلا عجب أن نرى روائيين عربا قد اتجهوا للكتابة الوجودية تعبيرا عن أزمة الإنسان العربي ما بعد الحرب العالمية .

لعل الصراع الوجودي تسلل إلى الحياة الثقافية العربية في أواخر الخمسينيات وأوائل الستينيات قام بدور كبير في وضوح هذا التيار الفردي الذي فرض نفسه في الواقع ، وعملت على رواجه بشكل خاص (مجلة الآداب) البيروتية التي نشرت العديد من الدراسات والترجمات الوجودية ، وتبنت أعمال ناشئة الأدباء الذين تأثروا بهذا التيار مشجعة إياهم بالجوائز أحيانا .

إن المتأمل لطبيعة الأعمال الصادرة عن الاتجاه الفردي أو المنطقة من الواقع الذاتي يلاحظ اختلافا بينا في طريقة وأسلوب معالجة كل منها ، ويمكن بناءا على هذا التمايز تقسيمها إلى ثلاثة أقسام متباينة وهي:

أ/ الالتزام الوجودي تمثله أعمال **سهيل إدريس** في ثلاثيته " الحي اللاتيني " و" الخندق العميق" ، و"أصابعنا التي تحترق"

ب/ النرجسية تملها أعمال **مطاع صفدي** في روايته "ثائر محترف" ، و"جيل القدر" ، وهي أعمال ذات وشائج قربى بأعمال **سارتر** في ثلاثيته الشهيرة .

ج/ صراخ الذات تمثله أعمال **ليلى بعلبكي** في "أنا أحيا" و "الآلهة الممسوخة" تضاف إليها مجموعات قصصية وخاصة منها "كوابيس بيروت " و ب"يروت 75" .

مراجع الدرس:

1/ الطيب بوشيبي : الوجودية في الرواية العربية في بلاد الشام (سهيل إدريس أنموذجا)